الباب الخامس

حثهم على العفة وصون النفس عن المعصية

وقولهم فى الزنا وما اليه

جماعُ معنى العِفّة : الكفُّ عمّا لا يحِلّ أو ضبط النفس وتنزيهُها عن كل ما يَهْوِى بالانسان إلى مستوى الحيوان ، والعفّة فضيلة بين رذيلتين : رذيلة الشرَه والاستخذاء للأهواء - الأهواء الضارة غير اللائقة بالمثل الأعلى والكمال ورزذيلة الجمود جمود الشهوات والعواطف والأحاسيس ، والعفة ضروب ، فمنها عفة اللسان ، وعفة اليد ، وعفّة السَّمْع والبَصر ، وعفّة البطن ، وعفّة الفرج ، والذى يعنينا هنا هو عفّة الفرج وعفة الجوارح التى تؤدى إلى عفة الفرج .

قال الله جل شأنه (وأما مَن خاف مَقَامَ رَبِّهِ ونَهَى النفسَ عن الهوى فانّ الجنّة هى المأوى) .

« مقام ربّه ، يراد به أن الله قائم عليه ، أى حافظ مُهَيْمن من قوله تعالى (أفَمَنْ هو قائم على كل نفس بما كسبت) فهو يراقب ذلك فلا يَجْسُرُ على معصية ، وقيل : معنى مقامَ ربه : موقفة الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين

وقالوا فى قوله تعالى (ولِمَن خاف مقامَ ربّه جَنّتان) : هو الرجل يخلو بالمعصية فيتركها خوفاً من الله وتَنَزُّهاً عمّا يَشِينُ وإيثاراً لما هو خير وأجمل والهوى ما تهواه الأنفس وتصبو اليه ، والمراد به فى أغلب احواله واطلاقاته :

الشهوات الضارة المعطبة ، وسمى كذلك لأنه يهوى بصاحبه إلى المهالك ، وينزلق به إلى مَهاوى الخزى والهوان .

وفي الأثر : مَن وُقِىَ شرَّ لَقْلَقِه وقَبْقَبِه وذَبْذَبِه فقد وَجَبَتْ له الجنة .

« وفى رواية : فقد وُقِى شِرَّةَ الشباب ، واللقلق : اللسان ، والقبقب : البطن ، من القبقبة وهى : حكايةُ صَوتِ البطن ، والذبذب : الذَّكر ، لتذبذبه ، أى حَرَكتِه »

وفيه (مَن حَفِظَ ما بين فُقْمَيْه ورجليه دَخَل الجنَّة) .

« فُقْمَاهُ لحْياهُ ، أى من حَفِظَ فمَهُ من أكلِ الحرام وقُبْحِ الكلام ، ومن حَفِظَ فَرجَه عن الحرام دخل الجنة »

وفيه (مَن أحبَّ فعَفَّ فماتَ فهو شهيد) .

وفيه (اعْصِ الهوى والنِّساءَ واصْنَعْ ما شِئْت) .

وفيه (أفضَل الجهاد أن يجاهِدَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ وَهَواه) .

وقال علىّ بن أبى طالب (ما المجاهِدُ الشهيد فى سبيل الله بأعْظَم أجْراً مِمَّنْ قَدَر فعف لكادَ العفيفُ أنْ يكونَ مَلَكا من الملائكة) .

وقيل لحكيم : ما أحْسَنَ أنْ يَصْبِرَ الإنسانُ عما يَشْتَهِى ! فقال : أحْسَنُ منه ألاَّ يَشْتَهِى إلاَّ ما يَنْبَغِى . . .

وفي الحديث المرفوع (لا تَكونَنَّ حديدَ النَّظَر إلى ما ليس لك ، فإنَّهُ لا يَزْنِى فَرْجُكَ ما حَفِظْتَ عينيك ، وإن استَطعْتَ ألاَّ تنظُرَ إلى ثوب المرأةِ التى لا تَحِلُّ لك فافْعَلْ ، ولَن تَسْتَطِيعَ ذلك — أى النظر إلى الثوب — إلا بإذن الله) .

مِن جوامع الكلمة فى هذا الباب قوله صلوات الله عليه (حُفَّت الجَنَّةُ بالمكاره ، وحُفَّت النارُ بالشهوات) .

« أصلُ الحَفّ : الدائر بالشيء المحيط به والمكاره جمع مكرُهة ، وهو ما يكرهه المرء ويَشقُّ عليه من القيام بالواجب ، الواجب نحو الله ونحو الناس ونحو نفسه ، والشهوات جمع شهوة ، وهى ماتصبُو اليه النفس وتهواه ، والحديث تمثيل ، والمعنى : لايوصل الى الجنة ولا تنال إلا بقطع مغاور المكاره والصبر عليها ، والنار لا ينجو منها إلا من حطم نفسه عن شهواتها وإلا أفضت به الشهوات إلى النار ، والحديث من جوامع كلمه صلوات الله عليه فى ذم الشهوات والحث على الطاعات »

* * *

وقال لعُمَرَ بن عبد العزيز : أىُّ الجِهادِ أفضَلُ ؟ فقال : جِهادُكَ هَوَاكَ .

وكانَ مالِكُ بن دينار يقول : جاهِدوا أهْواءَكم كما تُجاهدونَ أعْداءَكم

وكانَ يَقول : ما أشَدُّ فطامَ الكبير ! (١)

وكانَ الحَسَنَ البَصْرى يقول : حادِثُوا هذه القلوبَ فإنَّها سَرِيعَةُ الدُّثُور وأقْدَعوا هذه الأنفُسَ فإنَّها طُلَعَةٌ ، وإنَّكم إلاَّ تَقْدَعوها تَنْزِعْ بِكُم إلَى شَرِّ غايَة . . .

« حادثوا هذه القلوب : اجْلوها بمُعاهدتها بادّكار المواعظ واستِبْصار العِبر حتى يزول عنها الطَّبَع وينجلى الصدأ الذى غَشيها بملابَسَةِ الذنوب ، وأقْدَعوها : كفُّوها عما تَتَطَلَّع اليه من الشهوات . ونحوه قول الحجاج : اقْدعوا هذه الأنفُسَ فانها أسأل شىء اذا أعْطِيت وأمْنَعُ شىء إذا سُئِلَت »

وفى الحديث (ثلاث مُهْلِكات : شُحٌّ مطاع ، وَهَوًى مُتَّبع ، وإعجاب المرء بنفسه .

وقال بُزُرْجَمِهْرُ : إذا اشْتَبَهَ عليك أمْران فلَمْ تَدْرِ فى أيهما الصوابَ

---

(١) كانَ عالِماً زاهِدا لا يأكلُ إلاّ من عمل يَدِهِ ، مات سنة ١٣١ هـ بالبصرة .

فانظر أيّهما أقرب إلى هواك فخالفه ، فالصواب فى مخالفة الهَوَى .

وقال بعضهم :

مَن أجابَ الهَوَى إلى كلِّ ما يد ... عو إليه داعيه ضَلَّ وتاها

وقال هشام بن عبد الملك :

إذا أنت لم تَعْصِ الهوى قادَكَ الهَوَى ... إلى بعض ما فيه عليكَ مقالُ

وبَعَثَ أحدُ الملوك إلى أحَدِ النُّسَّاك : مالَكَ لا تخدمُنى وأنتَ عبدى ؟ فقال : لو اعْتَبَرْتَ لَعَلِمْتَ أنك عَبْدُ عَبدى . قال : كيف ؟ قال : لأنَّك تَتَّبِع الهَوَى ، فأنت عبده ، وأنا أمْلِكُه فهو عبدى ، فقال : صَدَقت .

وقالوا : سلطانُ مَن مَلَكَ الهَوَى فوق سلطان مَن مَلَكَ الدنيا .

وقالوا : إنْ قَدَّمْتَ هَوَاكَ على عقلك لم تُصِبْ رَشَدًا فى حياتك ولا أمْنًا بعد وفاتك . وقالوا :

إنَّ الهَوَانَ هو الهَوَى قلبَ اسْمه ... فإذا هَوِيْتَ فقد لقيت هَوانا

وقال حاتم الطائى :

وإنك إن أعْطيت بطنك سُؤْله ... وفَرجَك نالا منتهى الذم أجمعا

وقال الأخطل :

وإن امرأ لا ينثنى عن غَوايَةٍ ... إذا ما اشْتَهَتْهَا نفسُه لجهول

وقال آخر :

إذا ما رأيت المَرْءَ يقتادُهُ الهَوَى ... فَقَد ثَكِلَتْه عند ذاك ثواكُله

وَقَد أشْمَتَ الأعداء جهلا بنَفْسِه ... وقد وَجَدَتْ فيه مَقالا عواذله

ولَنْ يَزَع النفسَ اللجوج عن الهوَى
مِن الناس إلا فاضِلُ العقل كامِلُه

وللناس فى قصة يوسف عليه السلام عبرة فى هذا الباب وعظة ، ولو لم يك إلا قوله تعالى : إن النفس لأمارة بالسوء لكان فيه الغناء كله .

وقال عمر بن الخطاب (اقدعو هـــذه النفوس عن شهواتها فإنها طلاعة تنزع إلى شر غاية ، إن هذا الحق ثقيل مرىء وإن الباطل خفيف وبئ ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوة ، وشهوة ساعة أورثت حزناً طويلا) .

وقد أشاد الشعراء بالعفة وعدوها من الفضائل التي يتمدحون بها ويفتخرون قال المتنبي :

عواذلُ ذات الخال فىَّ حواسدُ ... وإنَّ ضجيع الخود منى لماجدُ
يردُّ يداً عن ثوبها وهو قادرٌ ... ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقدُ
متى يشتفى من لاعج الشوق فى الحشى
محبٌّ لهـــا فى قربه متباعدُ
إذا كنت تخشى العارَ فى كل خلوةٍ
فلم تتصبَّاكَ الحسانُ الخرائدُ

« يقول المتنبى فى البيت الأول : إن اللواتى يعذلنَ — يلمنَ — هذه المرأة — التى هى صاحبة الخال على خدها — فىَّ لأجل محبتها إياى هنَّ حواسدُ لها علىَّ ، لأنها ظفرت منى بضجيع ماجد ، والخود : المرأة الناعمةُ الحسنةُ الخَلْق . ثم قال فى البيت الثانى انى أعفُّ عنها مع كونى قادراً على ترك العفاف ، وقد صار ذلك سجيةً لى حتى صرت أعفُّ عن طيفها أيضا اذا زارنى فى نومى ، يصفُ نفسه بالعفة والرغبة عن الصبوة بالنساء ، وقوله : متى يشتفى ... الخ يقول : متى يجدُ الشفاء من الشوق المحرق محبٌّ لهذه المحبوبة اذا دنا منها بشخصه نأى عنها بعفافه ، ثم قال فى البيت الأخير : اذا كنت فى

الخلوة بهن تنأى عنهن وتعف فمالك ولعشق الحسان والنزاع اليهن ؟ »

* * *

وقال المتنبي أيضاً :

عَفِيفٌ تَرُوقُ الشَّمْسَ صُورَةُ وَجْهِهِ ... وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقاً لحادَ إلى الظِّلِّ

يقول : إن الشَّمْسَ تَسْتَحْسِنُ صُورَةَ وَجْهِهِ، فلو نَزَلَتْ إليه الشَّمْسُ شوقاً إليه لَمَالَ عنها وعَفَّ ، يعنى : أنه عفيف عن كُلِّ أُنْثَى حتى عن الشمس فلوهى نَزَلَت إليه لحقَّق معنى العفة .

وقال المتنبي أيضاً :

كَمْ حَبِيبٍ لا عُذْرَ فى اللَّوْمِ فيه ... لَكَ فيـــه مِنَ التُّقَى لوَّامُ

رَفَعَتْ قدرَكَ النَّزاهَـــةُ عنه ... وثَنَتْ قَلبَـــكَ المَساعِي الجِسامُ

يَصِفُهُ بتَقْوَى الله وخَشْيَتِهِ يقول : كم حَبِيبٍ يَسْتَحِقُّ المواصَلَةَ لبَرَاعَتِه فى الحسْنِ ولا تُلامُ لَوْ واصَلْتَه ، لـكنَّك مع ذلك تَتركه لتَقْوَى الله ، فكأنَّكَ قد أَقَمْتَ عليه فى التُّقَى لُوَّاماً يلُومُونَكَ فيما لا يُوَافِقُ مُقْتَضَى التقوى ؛ ثم قال فى البيت الثانى : نزاهتُكَ وتَجَنُّبُكَ الآثام رفعا قدرَكَ عن مُواصَلَتِهِ ، وصَرَفَتْ قلبَكَ عنه الأمورُ الجِسَامُ التى تترامَى إليها لِبُعْدِ مُرْتَقَى هِمَّتِك) .

وفى ذوات العفاف البعيدات المتناول وإن كن لطيفات الحديث يقول المتنبي :

كأَنَّها الشَّمس يُعْيِي كَفَّ قابِضه ... شُعَاعُهَا وَيراهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِبا

وقبله يقول العَبَّاسُ بن الأحنف :

هِيَ الشَّمسُ مَسكَنُها فى السَّماء ... فَعَزَّ الفُؤادَ عَـــزَاءً جَمِيلاَ

فَلَنْ تستطيعَ إليها الصُّعودَ ... ولن تستطيعَ إليكَ النُّزولا

وقال حسّان بن ثابت يمدح عائشة رضى الله عنها :

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى مِن لُحُومِ الغَوَافِلِ

« الحصانُ : العفيفة ، وامرأةٌ رَازَنٌ : اذا كانت ذات ثباتٍ ووقار وعَفافٍ وكانت رَزَنِيَّةً فى مَجلِسها مُلازِمةً مَوضِعَها ، قليلة التَّصرُّف والتَّنقُّل ، وما تُزَنّ : ما تُتّهم ، وغَرْثى : جائِعة ، والغَوافل : جمع غافلة ، يريد : أنها لا تَرتَع فى أعراض الناس »

وقال عبدُ الله بنُ الحسن — بنُ الحسين بن على — بن أبى طالب وهو والد محمد وإبراهيم الخارجَين عَلَى أبى جعفر المنصور :

أُنُسٌ حَرَائِرُ ما هَمَمْنَ بِرِيبَةٍ كظِبَاء مكةَ صِيدهُنَّ حَرَامُ

يُحْسِبْنَ مِن لِينِ الحَديثِ زَوانِياً ويَصُدُّهُنَّ عن الخَنا الإسلامُ

« أنس : آنسات ، والخنا : الفحشُ »

* * *

ويُرْوَى أنَّ علىّ بن أبى طالب كانَ جالساً فى أصحابه ، فَمَرَّت بهم امرأةٌ جميلة ، فترمَّقها القومُ بأبصارهم ، فقال رضى الله عنه (إنَّ أبصارَ هذه الفحول طوامِحُ ، وإن ذلك سببُ هَياجها ، فإذا نَظَر أحدكم إلى امرأةٍ تعجبه فليُلامِسْ أهلهُ ، ، فإنما هى امرأةٌ كامرأة .

« طوامح جمع طامح أوطامحة ، نقول : طمح الدهر اذا ارتفع ، وطمح : أبعد فى الطلب وانّ ذلك : أى طموح الأبصار ، سبب هَياجها : أى هيجان هذة الفحول لملامسة الأنثى »

وقال ابنُ عبّاس (الشيطانُ من الرجال والنِّساء فى ثلاثةِ مَنازِلَ : فى النظر والقلب والفرج) .

وَرُوى أنَّ أعْرابِياً قال : خَرجْتُ فى ليلة مُظْلِمةٍ ، فإذا أنا بجارِيَةٍ

— فتاةٍ — كأنها فِلْقَةُ قَمَر ، فراوَدتُها ، فقالت : أمالك زاجرٌ من عَقل إن لم يكُنْ لك ناهٍ مِنْ دِينٍ ! فقلتُ : إنَّهُ لا يرانا إلاَّ الكواكب ، فقالت : وأينَ مُكَوْكِبُها !

وخلا بعضُ الأعراب بامرأة ، فهَمَّ بها فأجابَتْه ، فلمَّا قعَدَ منها مَقْعَدَ الرجل من المرأة أدركته عِصْمَةُ الله فتَنَحَّى عنها ثم قال : إنَّ مَن باعَ جَنَّةً عَرْضُها السمواتُ والأرضُ بِمِقْدارِ فِتْرٍ بين رِجلَيْكِ لَقَليلُ البَصَرِ بالمَساحة .

* * *

وعَن ابنِ عُمَرَ رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : انطَلَقَ ثلاثةُ رهطٍ مِمَّن كانَ قبلكم حتى إذا جَنَّ عليهم الليـــل أوَوْا إلى غارٍ فى جَبَل ، فانحَدَرَت صَخرةٌ مِن الجبل فسَدَّت عليهم الغار ، فقال بعضُهم لِبَعْضٍ: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالِحَةً فادْعُوا الله بها لعله يفرُجُها ، فقال رجل منهم :اللهم ، إنَّه كانَ لى والدان شيخان كبيران ، ولى صِبْيَةٌ صِغارٌ ، كنتُ أرْعَى عليهم — فإذا رُحْتُ عليهم فحَلَبْتُ بدأتُ بوالِدَىَّ أسقيهما قبْلَ وَلَدى ، فكُنْتُ لا أُغْبِقُ قبلهما أهْلاً ولا مالاً ، (١) وإنَّه نأى بِىَ الشجرُ (٢) فما أتيتُ حَتَّى أمسَيْتُ ، فوجدتُهما قَدْ ناما ، فحَلَبْتُ لهما غَبُوقَهما وقمت عنـــد رأسيهما أكْرَهُ أن أوقِظَهما مِن نَومِهما ، وأكْرَهُ أنْ أبدأ بالصِّبْيةِ قبلَهما ، والصِّبْيَةُ يتضاغَونَ (٣)

---

(١) أى ما كنت أقدم عليهما أحداً فى شرب نصيبهما فى اللبن الذى يشربانه ، من الغَبوق وهو شرب العَشِىّ مقابل الصَّبوح ، ومراده بالأهل زوجه وولده وبالمال رقيقه وخدمه

(٢) بَعُدَ عليه الشجر لطلب المرعى .

(٣) يتضاغون : يصيحون ويبكون .

عند قدمى ، فلبثتُ والقدَح على يدى أنتظر استيقاظَهما حتى بَرَق الفجر — أضاء — فاستيقظا فشربا غبوقهما ؛ اللهم إن كُنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرُج عنّا ما نحنُ فيه مِن هذه الصَّخرة ، فانفرجَتْ شيئاً لا يستطيعون الخروج ، وقال الثانى : اللهمّ ، كانت لى بنتُ عمّ كانت أحبّ الناس إلىّ فأردْتُها عن نفسها فامتنعَت منّى حتى ألمّتْ بها سَنَةٌ من السنين (١) فجاءتنى ، فأعطيتُها عشرين ومائة دينار على أنْ تخلّىَ بينى وبين نفسها ؛ ففعلَت ، حتّى إذا قدَرْتُ عليها قالت : لا أُحِلُّ لك أنْ تفُضَّ الخاتَمَ إلاّ بحقّه ؛ فتحرّجْتُ من الوقوع عليها ، فانصرفتُ عنها وهى أحبُّ الناس إلىّ ، وتركْتُ الذّهبَ الذى أعْطيتُها ، اللهم ، إن كنتُ فعلتُ ابتغاء وجهك فافرُج عنا ما نحنُ فيه فانفرَجت الصَّخرةُ غيرَ أنّهم لا يستطيعون الخروج منها ، وقال الثالث : اللهم إنّى استأجرْتُ أُجَراءَ ، فأعْطيتُهم أجرَهُم ، غيرَ رَجُل واحد ترَك الذى له وذهَب ، فثمّرْتُ أجرَه حتى كثُرَتْ منه الأموال ؛ فجاءنى بعد حين فقال : يا عبـــدَ الله ، أدِّ إلىّ أجرى ، فقلت له : كلُّ ما ترَى مِن أجرك ، مِنَ الإبِل والبَقر والغَنَم والرقيق ، فقال : يا عَبد الله ، لا تَستَهزِئ بى ، فقلتُ : إنّى لا أستهزِئ بك ، فأخَذَهُ كُلَّه ؛ فاستاقَهُ فلم يترُك منه شيئا ، اللهم ، فإن كنتُ فعلْتُ ذلك ابتغاءَ وَجهك فافرُج عنا ما نحنُ فيه ، فانفرجَت الصخرةُ فخَرَجُوا يَمشُون . . .

* * *

وجاء فى الحديث الشريف : سَبْعَةٌ يُظلُّهم اللهُ فى ظِلّه يومَ لا ظِلَّ إلاّ

---

(١) يريد أنها أصابها قحط وجدب .

ظله[1] ، فذكر منهم رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إنى أخاف الله .

* * *

وقال على بن أبى طالب : سمعت رسول الله ﷺ — وذكر النظر إلى النساء — فقال : النظرة الأولى لك — يعنى نظرة الفجأة — والثانية عليك لا لك ، والنظر إلى المرأة سهم من سهام إبليس ، فمن تركه خوف الله تعالى أتاه الله إيماناً يجد حلاوته فى قلبه .

* * *

وفى الحديث الشريف (العينان تزنيان ، وزناهما النظر) وفيه (نظر الرجل إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام إبليس) ومن كلام السيد المسيح عليه السلام (النظر يزرع فى القلب الشهوة ، وكفى بها خطيئة) .

وقد أكثر الشعراء فى وصف ما يحدثه النظر من البلايا ، فمن ذلك قول المتنبى :

وأنا الذى اجتلبَ المنيةَ طرفُه ... فرَنَ المُطالبُ والقتيل القاتلُ

وقال ابن المعتز :

وما أدرى إذا ما جنّ ليل ... أشوقاً فى فؤادى أم حريقا

ألا يا مقلتىّ ، دهيتمانى ... بلحظكما فذوقا ثم ذوقا

---

(١) يظلهم الله فى ظله المراد يشملهم برحمته ، ويوم لا ظل إلا ظله أى لا رحمة إلا رحمته وهو يوم القيامة .

وقال بعضهم :

أنا ما بَينَ عَـدُوَّيـ ... ـنِ هما : قلبي وطَرْفي
يَنْظُرُ الطَّرف ويَهوَى الـ ... ـقَلبُ والمقصودُ حَتْفي

وقال آخر :

فَتَصَبَّرْ ولا تَشِمْ كُلَّ بَرْقٍ ... رُبَّ بَرقٍ فيـه صواعِقُ حَيْنِ
واغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِحْ من غَرامٍ ... تَكْتَسِي فيه ثَوْبَ ذُلٍّ وَشَيْنِ
فَقِيادُ الفَتَى مُوافَقَةُ النَّفْـ ... ـسِ وبَدْءُ الهَوى طُمُوحُ العَيْنِ

ولمناسبة النَّظر نورد عليك بَعضَ طُرَفهم فيه : نَظَر أشعَبُ يوماً إلى ابنه وهو يُديم النظر إلى امرأةٍ فقال : يا بُنَيَّ ، نَظَرُكَ هذا يُحْبِل ...

وقال بَعضُ الشُّعَراء فى هذا المعنى :

وَلِي نَظْرَةٌ لو كان يُحْبِلُ ناظِرٌ ... بِنَظْرَتِهِ أُنْثَى لَقَد حَبِلَت مِنِّى

وقال الشاعر :

وَمُراقِبَينِ يُكَتِّمانِ هَوَاهُما ... جَعَلاَ الصُدورَ لِما تَجِنُّ قُبورا
يتلاحَظانِ تلاحُظاً فَكأنَّما ... يتناسَخانِ من الجُفونِ سُطورا

وقال أعْرابيٌّ :

وما خاطَبَتْها مُقْلَتَايَ بِنَظْرَةٍ ... فَتَفْهَمَ نَجوانا العُيونُ النواظِرُ
ولكن جَعَلْتُ الوَهْمَ بيني وبينَها ... رَسولاً فأدَّى ما تَجِنُّ الضَّمائر

ونَحوه قول أبى العَتَاهِيَة :

أما والذى لو شاء لم يَخْلُقِ النَّوَى ... لَئِنْ غِبْتَ عن عَيني لَما غِبْتَ عن قَلْبي
تُرِيني كَ عَيْنُ الوَهْمِ حتَّى كأنَّني ... أُناجِيكَ مِن قُرْبٍ وإن لم تَكُنْ قُرْبي

رجع ما انقطع :

وقال بعضهم : إنَّ اللذةَ مَشوبَةٌ بالقبح ، ففكَّروا فى انقطاع اللذة وبقاء ذكر القبح .

وقال أبو عبيد الله بن إبراهيم بن عرفة :

كم قد ظفرتُ بمَنْ أهوى فيمْنَعُنى ... منه الحياءُ وخوفُ الله والحذرُ
وكم خلوتُ بمَن أهوى فيُقْنِعُنى ... منه الفكاهةُ والتَّقبيل والنظرُ
أهوَى المِلاحَ وأهوَى أن أُجالِسَهم ... وليسَ لِى فى حَرامٍ منهمُ وَطَرُ
كذلكَ الحُبُّ لا إتيانُ مَعْصِيَةٍ ... لا خيرَ فى لَذَّةٍ من بَعدِها سَقَرُ

وقال أيضاً :

ليسَ الظَّريفُ بكاملٍ فى ظَرفِه ... حتَّى يكونَ عن الحَرام عفيفا
فإذا تعفَّفَ عن محارم ربِّه ... فهُناكَ يُدْعَى فى الأنام ظَريفا

وقال العباس بن الأحنف :

أتأذَنونَ لِصَبٍّ فى زيارَتِكُم ... فعندكم شهواتُ السَّمْعِ والبَصَرِ
لا يُضْمِرُ السُّوءَ إن طالَ الجلوسُ به ... عَفُّ الضَّمير ولكن فاسِقُ النَّظَرِ

وقال سعيد بن حُميد :

زائرٌ زارَنا على غير وَعْدٍ ... مُخطَفُ الكَشْحِ مُثْقَلُ الأرداف
غالبَ الخَوفُ حين غالَبَهُ الشو ... قُ وأَخْفَى الهَوَى وليس بخاف
غَضَّ طَرْفِى عنه تُقَى الله فاختَرْ ... تُ على بَذْلِه بقاء التَّصافى
ثُمَّ وَلَّى والخوفُ قد عَمَّ عِطْفَيْـ ... ـهِ ولم يَخْلُ من لِباس العفاف

---

(١) مخطف الكشح : ضامر الخصر .

وقال صريع الغوانى مسلم بن الوليد :

وما ذَمِّيَ الأيامَ أنْ لستُ مادحًا ... لِعَهْدٍ لياليها التى سلفَتْ قَبْلُ

ألا رُبَّ يومٍ صادق العيش نِلْتُه ... بهـــا وندمايَ العَفافَةُ والبَذْلُ

ودَخَل رَجُلٌ غَيْضَةً له فقال : لو خَلَوْتُ هُنا بِفُلانَةٍ فلم يَرَنا أحدٌ ؟ فَسَمِعَ صَوْتًا مَلأَ الغَيْضَةَ : ألا يَعْلَمُ مَن خلقَ وَهُوَ اللطيف الخبير ! ..

وهذا كما قال نابغةُ بَنى شيبانَ :

إنَّ مَنْ يَرْكَبُ الفواحِشَ سِرًّا ... حِينَ يخلو بسِرِّهِ غير خالِ

كيف يَخلو وعِندهُ كاتِباهُ ... شاهِداه وَرَبُّهُ ذو الجـــلال

وقال . . .

إذا ما خَلَوتَ الدَّهْرَ يومًا فلا تَقُلْ ... خلَوتُ ولـكن قُلْ عَلَىَّ رَقِيبُ

ولا تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفُلُ ساعَةً ... ولا أنَّ ما تُخْفِيه عنه يَغِيبُ

وكان رَجُلٌ من قُراء أهل مكة ونُسّاكِها يسمى عبد الرحمن ابن أبى عَمّار الجُشَمِى ، وكان يُسَمَّى القَسَّ لِنُسُكِه وعِبادَته ، وكانَ يُشَبَّه بعَطّارِ بن أبى رَباح فَمَرَّ ذاتَ يوم بِدارِ سَلّامَةَ المُغَنِّيَةِ المعروفَةِ بِسَلّامَةِ القَسِّ[1] ، وإنما سميت به ، فَسَمِعَ غِناءَها على غير تَعَمُّدٍ منه لذلك ، فَبَلَغَ غِناؤُها منه كُلَّ مَبْلَغ ، فرآه مَولاها فقال له : هل لك أنْ أُخرِجَها إليكَ أو تَدْخُلَ فَتَسْمَعَ ! فأبَى ، فقال مولاها : أنا أُقْعِدُها فى مَوْضِعٍ تَسْمَعُ غِناءَها ولا تَراها فأبَى ، فلم يزَل به حتى دَخَل ، فأَسمعَهُ غِناءَها فأعْجَبَه ، فقال له : هل لك فى أنْ أخرجَها إليك ؟ فأبَى ، فلم يزَل بِهِ حتى أخرجَها ، فأقْعَدَها بين يديه ، فتَغَنَّتْ فَشُغِفَ

(١) انظر أخبارها فى الأغانى ج ٢ طبعة دار الكتب المصرية .

بها وشُغِفَتْ به ، وعَرَف ذلك أَهْلُ مَكَّةَ ؛ فقالت له يوماً : أنا واللهِ أُحِبُّك قال : وأنا واللهِ أُحِبُّك ، قالت : وأُحِبُّ أَنْ أَضَعَ فَمِي عَلَى فمك ، قال : وأنا واللهِ أُحِبُّ ذاك ، قالت : فما يَمْنَعُك ؟ فواللهِ إنَّ الموضِعَ لخالٍ . قال : إنِّي سَمِعْتُ اللهَ عزَّ وجل يقول (الأخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعضُهم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاَّ المتقين) وأن أكره أنْ تكونَ خُلَّةُ ما بَيْنِي وبينك تَئُول إلى عَداوَة ؛ ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُّسك . . وله فيها أشعار تجدها فى الأغانى . . .

* * *

وقيل لِبَعض الأعراب وقد طال حُبُّه لجارية — فتاة — ما كنتَ صانعاً لو ظَفِرتَ بها ولا يرانا إلا الله تعالى ؟ قال : أخاف الله ، ولا أَجْعَلُه أهْوَنَ الناظرين . . . ولكن أَصنَعُ معها ما أَصنَعُ بِحَضْرَةِ أهلِها : حَديثٌ طويل ، ولحظٌ كليل ، وتَركُ ما يكرهُه الرب ، وينقطع به الحُبّ : . .

* * *

وقال الحسين بن مطير من أبيات :

وما الجُود عن فَقْرِ الرجال ولا الغِنَى ... ولكنَّه خِيمُ الرِّجالِ وَخِيرُها
وقد تغدر الدنيا فيُضْحى غَنِيُّها ... فقيرا وَيَغْنَى بعد بُؤسٍ فقيرها
وكائِنْ تَرَى من حالِ دنيا تَغَيَّرَت ... ومالٍ صفا بعد اكدِرار غَدِيرُها
وَمَنْ طامعٍ فى حاجَةٍ ان ينالها ... ومِن يائسٍ منها أتاه يَسِيرُها
وَمَنْ يَتَّبِعْ ما يُعْجِبُ النفس لم يَزَلْ ... مُطِيعاً لها فى فِعْلِ شيءٍ يَضِيرُها
فَنَفْسَكَ أكرِم عن أمور كثيرةٍ ... فمالك نَفْسٌ بعدها تستعيرُها
ولا تَقْرَبِ الأمرَ الحرام فإنَّهُ ... حَلاوتُه تفنى ويبقى مَرِيرُها

وقال عَقيل بنُ عُلَّقَة من أبيات أوردَها أبو تمام فى حماسته :

ولَسْتُ بصادرٍ عَنْ بَيْتِ جارى ... صُدُورَ العَيْرِ غَمَّرَهُ الوُرودُ
ولَسْتُ بسائلٍ جاراتِ بَيْتِى ... أغُيَّابٌ رجالُكِ أَمْ شُهودُ
ولا أُلْقِى لِذِى الوَدَعاتِ سَوطى ... لِأُلْهِيَهُ وَرَبَّتُهُ أُرِيدُ

« العَيْر : الحمار يقول : لا أصْدُر عن بيت جارى مثلَ الحِمارِ قد تَغَمَّرَهُ أى لَمْ يَرْوَ وفيه حاجة إلى العَوْدَة ، يعنى : لا ألتفت الى بيت جارَتى كما يلتفت الحمار إلى الماء إذا صَدَرَ غيرَ رَيَّان أو تقول : لا أخرُج خروج الخائف ، وشهود : حاضرون ، وذُو الوَدعات الصَّبِىُّ وربَّتُهُ : أُمُّهُ يقول : لا ألهى الصبىّ بالسَّوط قاصدا بذلك إلى مُغَازَلة أمه ، وهذا مثل قول مسكين الدارمى » .

لا آخُـــذُ الصبيانَ أَلْتَمِسُهُمْ ... والأَمْرُ قَد يُغْزَى به الأَمْرُ

« يُغْزَى : يُقْصَد ، مِن قولهم : قد عَرَفْتُ مَغْزَاكَ . وقال صاعِدُ اللُّغَوِى صاحب الفصوص والذى وَفَدَ إلى الأندلس : — فى مثل هذا المعنى :

إذا رأيتَ صَبِىَّ القَوْمِ يَلْثَمُهُ ... ضَخْمُ المناكِبِ لاَ عَمٌّ ولا خَالُ
فاحْفَظْ ثِيابَكَ مِنه أنْ يُدَنِّسَها ... ولاَ يُغَرَّنْكَ حُسْنُ الحالِ والمالُ

ولهم فى هـــذا المعنى الدقيق كثير ، فلِلَّهِ دَرُّهُم فقد استَشَفُّوا الضمائر وتغلغلوا فى أعماق النفوس وفطنوا إلى أغراضها ومَغَازيها .

وقال ابنُ حَبْنَاء التميمى — شاعر أُموى — :

أعـــوذُ بالله منْ حَالٍ تُزَيِّنُ لى ... لومَ العَشيرة أوْ تُدْنِى من النار
لا أقْتَرِبُ البَيْتَ أحْبُو منْ مُؤَخَّره ... ولا أُكَسِّرُ فى ابنِ العَمِّ أظْفارى
إن يَحْجُبِ اللهُ أبْصَارًا أُراقِبُهـــا ... فقَد يَرَى اللهُ حالَ المُدْلِجِ السارى

وقوله لا أقرُب البيت أحبو مِنْ مؤخّره يريد : لا آتيه لِريبة وقوله :

ولا أكسّر فى ابن العمّ أظفارى يقول : لا أغتابه ، والمدلج : الذى يسير من أول الليل ، والسُّرَى لا يكون إلا سير الليل :

وقال شاعر يسمى هلال بن خثعم :

وَإِنِّى لَعَفٌّ عن زيارة جارَتى ... وَإِنِّى لَمَشْنُوءٌ إِلَىَّ اغتيابُهـا
إذا غابَ عَنْها بَعلُها لم أكُنْ لها ... زَءُوراً ولَمْ تَنْبَحْ عَلَىَّ كِلابُها
وَمَا أنَا بالدازى أحاديثَ بَيْتِها ... ولا عالِماً أىَّ حَوكِ ثِيابُها
وإن قِرابَ البَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْأَهُ
وَيَكْفِيكَ سَوْءاتِ الأُمور اجتنابُها

« قال السيد المرتضى فى أماليه : قد جمعت هذه الأبيات فِقَراً عجيبَةً ، وكِنايات بليغَةً ، لأنّهُ نَفى عن نَفْسِه زيارَةَ جارَتِه عند غَيبَةِ بعلها ، وخَصّ حالَ الغَيبَة لأنها أدنى الى الرِّيبَة وأخَصُّ بالتّهمة فقال ولم تنبح علىّ كِلابها أراد : انى لا أطرقُها ليلا مستخفيا متنكّرا فتُنكرَنى كلابها وتنبحنى ، وهذه الكناية تجرى مجرى قول الآخر لا أدْخُلُ البيتَ أحبُو من مُؤخّره[1] ورُوِىَ ولَمْ تأنَسْ إلى كِلابها وهذا معنى

---

(١) هو صدر بيت من أبيات جميلة لابن حَبْناء التميمى ـ شاعر أموى ـ : وهى :

إنى هَزِئْتُ من أم القَمَرْ إذ هَزِئَتْ ... بشَيْب رأسى وما بالشيب من عار
ما شِقْوَةُ المرءِ بالإقتار يُقْتِرُهُ ... ولا سَعَادَتُهُ يوما بإكثار
إنّ الشّقِىَّ الذى فى النار مَنزِلُهُ ... والفوزُ فَوزُ الذى ينجُو من النار
أعوذُ بالله من أمْرٍ يُزَيِّنُ لى ... لَوْمَ العشيرَةِ أو يُدْنى من العارِ
وخير دُنيا يُنسِّى شَرَّ آخرَةٍ ... وسوفَ يُنْبِئُنى الجبّارُ أسرارى
لا أدْخُل البيتَ أحبو من مُؤخّره ... ولا أكسّر فى ابن العمّ أظفارى
إنْ يَحْجُبِ الله أبصاراً أراقبُها ... فَقَدْ يَرَى الله حالَ المُدلِجِ السارِى

آخر ، كأنه أراد : أنه ليس يُكثر الطُّروق اليها والغِشْيانَ لمنزلها فتأنَسُ به كِلابها ، لأن الأنسَ لا يكون إلا مع المواصلة ، وقوله وماأنا بالدارى أحاديث بيتها أرادبه أيضا التأكيد فى نَفْى زيارَتها وطروقها عن نفسه ، لأنّه اذا أدْمَنَ الزيارَةَ عَرَف أحاديث بيتها ، فإذا لم يَزُرْها لم يعرف ، ويحتمل أن يريد أنى لا أسألُ عن أحوالها وأحاديثها كما يفعل أهل الفضول ، فَنزَّهَ نفسه عن ذلك ، وقوله : ولا عالِمًا من أى جَوِكِ ثيابها كناية مليحة عن أنه لا يجتمع معها ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها ، أقول : أما قوله وإن قرابَ البطن يكفيك مِلْأَه فإنَّما يقارب الشبعَ يكفيك لا الامتلاء ، فقراب الشيء : ما قارب قدْرَه »

وَوَصَفَ أعرابىٌّ امرأةَ طَرَقَها فقال : ما زال القمَرُ يُرينيها ، فلمَّا غاب أرَتْنِيه ، فقيل : فما كان بينكما ؟ قال : ما أقْرَبَ ما أحَلَّ اللهُ مِمَّا حرَّم ! إشارةٌ فى غير باس ، ودُنُوٌّ غيرُ ماسّ ، ولا وَجَعٌ أشدّ من الذنوب .

* * *

وَقال بَعضُ الظُّرفاء : كان أربابُ الهوَى يُسَرُّونَ فيما مَضَى ويَقْنَعُونَ بأنْ يمْضَغ أحدُهم لبانًا قد مَضَغتْهُ جبيبَتُه أوْ يَستاكَ بسِواكِها ويَرَوْنَ ذلك عظيما . وَاليومَ يَطلُبُ أحَدُهم الخلوةَ وإرخاءَ السُّتور كأنّهُ قد أشْهَدَ على نِكاحِها أبا سَعيد وأبا هُرَيرة . . .

وَقال المتنبي :

إنِّى على شغفِى بما فى خُمْرِها لاعِفٌّ عَمَّا فى سَرَاوِيلاتِها

فقوله : لا أدخل البيت أحبو من مؤخره يريد أنى لا أقصد البيت للريبة والفساد ، لأن من شأن من يسعى الى افساد الحُرَم ويقصد البيوت للريبة أن يعدل عن أبوابها طلبا لإخفاء أمر ، وقوله : ولا أكسِّرُ فى ابن العم اظفارى أراد أنه لا يصل ابن العم منى السُّوء ولا يتألم بشيء من جهتى فأكون كأنى قد جرحته بأظفارى وكسرتها فى لحمه .

وَتَرَى الفُتُوَّةَ وَالمُرُوَّةَ وَالأُبُوَّ ... ةَ فِي كُلِّ مَلِيحَةٍ ضَرَّاتِهَا
هُنَّ الثَّلَاثُ المانِعَاتِي لَذَّتِي ... فِي خَلْوَتِي لا الخَوْفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا

« الخُمُرُ جمع خمار وهو ما تُغَطِّي به المرأة رأسها ، والسراويلات جمع سروال وهو ذلك اللباس الخاص بستر النصف الأسفل من الجسم ، وكان الصاحب بن عباد يستهجن قول المتنبي عما في سراويلاتها ويقول : كان الشعراء يصفون المآزر تنزيهاً لألفاظها عما يُستشنع حتى تخطّى هذا الشاعر المطبوع ... إلى التصريح ...

وكثير من العهر عندي أحسن من هذا العفاف... قال بعضهم : هذا مما عابه الصاحب على المتنبي ، وإنما قال المتنبي : عما في سراويلاتها جمع سربال وهو القميص . يقول المتنبي في هذا البيت : إني مع حُبِّي لوجوههن أعف عن أبدانهن ، ثم قال : في البيتين التاليين : إن الفُتُوَّة — الكرم — والمُرُوَّة — الإنسانية — الأُبُوَّة — الاباء والأنفة وعزَّة النفس إن هذه المعاني هي التي تحول بينه وبين الخلوة بالحسان ، فكأنَّ ضرائرهُن ، فهي التي تكفُّه عن لذاذاته والتمتع بالحسان لا الخوف من تَبِعَاتِها ؛ وقال قوم : هذا تهاون بالدين وضرب من الإلحاد ، وقد فاتهم أن هذا مذهب للشعراء معروف ، لا يريدون التهاون بالدين بل المبالغة في وصف سجاياهم وأخلاقهم بالطهارة وأنهم يتركون القبيح لأنه قبيح لا لورود الشرع به وخوف العقاب من الله ، كما قال المَعَرِّي :

وَلْتَفعل النفسُ الجميل لأنه ... خيرٌ وأفضل لا لأجل ثوابها

* * *

ودَخَلَتْ بُثَيْنَةُ على عبد الملك بن مروانَ فقال : ما أرى فيك يا بُثَيْنَةُ مما كان يلهجُ به جميل ! فقالت : إنَّه كان يَرْنُو إليَّ بعينَيْنِ ليستا في رأسك يا أميرَ المؤمنين ، قال : فكيف صادفتِه في عِفَّتِه ؟ قالت : كما وَصَفَ نفسَهُ إذ قال :

لا والذى تسجُدُ الجباهُ له ... مالى بِمـــا ضمَّ ثَوْبُها خَبَرُ
ولا بِفيها ولا همت به ... ما كان إلاَّ الحديثُ والنظرُ

قال بعض الصالحين : دخلت على جميل فى مَرَض موته فقال : يا فلان ، رَجُلٌ يَلْقَى الله ولم يَسفكْ دماً حَرَاماً ولم يَشْرَبْ خمراً ، ولم يأتِ فاحِشَةً ، أتَرْجو له ؟ قال : إىْ والله ، فَمَنْ هُوَ ؟ قال : إنى لأرْجو أنْ أكون ذلك ، فذكرت له بُثَيْنَة ، فقال : إنِّى لفى آخِرِ يوم من أيام الدنيا . وأول يوم من أيام الآخرة ، لا نالَتْنِى شفاعَةُ محمد إن كنتُ حدَّثْتُ نفسى بريبَةٍ معها أومع غيرها قطّ . . . أقول : وهكذا كان عِشْقُهم عِشْقاً روحانياً ، عُـــذرياً أو أفلاطونياً ، لا ما نشاهد فى هذا الجيل المادّى السخيف . . .

وقال أبو الفرج فى الأغانى فى ترجمة جميل : سَعَتْ أَمَةٌ لِبُثَيْنَةَ بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما : إنَّ جميلاً عندها الليلةَ ، فأتياها مُشْتَمِلَيْنِ على سَيْفَيْن ، فرأياه جالساً حِجْرَةً — ناحيةً — منها يُحَدِّثُها وَيَشْكو إليها بَثَّهُ ، ثم قال لها : يا بُثَيْنَةُ ، أرأيتِ وُدِّى إياك وَشغفى بك ألاَ تَجْزِينِيه ؟ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكونُ بين المتحابَّيْن ، فقالت له : يا جميلُ ، أهَذا تَبْغى واللهِ لقد كُنتَ عندى بَعيداً منه ، وَإنَّكَ عاوَدتَ تعريضاً بريبَةٍ لا رأيتَ وَجْهى أبداً ، فَضَحك وقال : والله ما قلتُ لك هذا إلاَّ لأعْلَمَ ما عِنْدَكِ فيه ، ولو علمتُ أنَّكِ تجيبيننى إليه لعَلِمْتِ أنكِ تجيبينَ غيرى ، ولو رأيتُ منك مُساعَدَةً عليه لَضَرَبْتُكِ بِسَيْفِى هـــذا ما استَمْسَكَ فى يَدِى ، ولو أطاعَتْنِى نَفْسِى لهجَرْتُكِ هِجْرَةَ الأبَدِ ، أو ما سمعتِ قولى :

وإنِّى لأرْضَى مِن بُثَيْنَةَ بالذى ... لوَ أبْصرَهُ الوَاشِى لَقَرَّتْ بَلابِلُهْ

بلاَ وبأنْ لا أَستَطيعَ وبالمُنى وبالأمَل المرْجُوِّ قد خابَ آمِلُهْ
وبالنَّظْرَةِ العَجْلى وبالحَول تَنْقَضى أَواخرُه لا نلتَقِى وأوائِلُهْ

فقال أَبوها لأخيها : قُمْ بنَا ، فما ينبغى لنا بعد اليوم أَنْ نَمْنَعَ هذا الرَّجلَ مِن لِقائها ، فانصرفا وتَركاها . . .

* * *

ومن طريف ما يروَى عن ظرفاء المحبين ما يلى :

قَال يوسُفُ بنُ الماجِشُون أَنْشَدْتُ محمـــد بن المنكدر قولَ وَضّاح اليَمَن [1] :

إذا قلتُ هاتِى نَوِّلِينى تَبَسَّمَتْ وقالت : مَعاذَ اللهِ مِنْ فِعْلِ ما حَرُمَ
فَما نَوَّلَتْ حَتَّى تَضَرَّعْتُ عِنْدَها وأَعْلَمْتُها ما رَخَّصَ اللهُ فى اللَّمَمْ

فَضَحِك وقال : إنْ كانَ وَضّاح إلاَّ مُفْتِياً لِنَفْسِه .

---

(١) هو صاحب هذه الأبيات المشهورة فيما يُسَمّونه « المراجعات » :

قالت : ألاَ لا تَلِجَنَّ دارَنا إنَّ أَبانَا رجـــــل غائِرُ
أَمَا رأيتَ الباب من دوننا ؟ قلت : فانى واثِبٌ ظـــافِرُ
قالت : فانَّ القَصرَ من دونِنا قلت : فأنى فوقَهُ ظاهِرُ
قالت : فإنَّ الليثَ عَالٍ بِهِ قلتُ : فَسَيفِى مُرْهَفٌ باتِرُ
قالت : فهذا البَحرُ ما بيننا قلت : فإنِّى سابِحٌ ماهِـــر
قالت : أليس اللهُ من فَوْقِنَا ؟ قلتُ : بَلَى ! وهو لنا غافِرُ
قالت فإمّا كنتَ أَعْيَيْتَنَا فأتِ إذا ما هَجَعَ السامِرُ
واسقُطْ علينا كسُقوطِ النَّدَى ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجِـــر

« اللَّمَمُ هنا كما قال الإمام الجوهرى هو نحو القُبلة والنظرة وما أشبهها ، وقوله تعالى (الذين يَجْتَنِبونَ كبائرَ الاثم والفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمُ ، قال بعضهم : اللَّمَمُ مقارَبَةُ الذَّنْبِ وقال آخرون : اللمم ما دون الكبائر من الذنوب ، وذَكر الكلبيُّ أنَّها النظرة من غير تَعَمُّد ، وهى مغفورة ، فإنْ أعاد النَّظر فليس بِلَمَم وهو ذنب ، وقول ابن المنكدر إن كان وضاح إلا مفتياً لنفسه يقول : إن وضاحاً لم يك فى قوله هذا إلاَّ مفتياً لنفسه و إلاَّ فاللمم ذنب ، كان يُرجى له المغفرة فانْ نافية ، على أنَّ قول وَضّاح هذا إنما جاء على مذهب الشعراء مَثَلُه مَثَلُ قول بَشار بن بُرْد :

لَوْ كُنتِ تَلْقينَ ما نَلْقى قَسَمْتِ لنا ... يَوماً نَعيشُ بِهِ منكمْ ونَبْتَهِجُ
لا خيرَ فى العَيْش إنْ دُمْنا كذَا أبداً ... لا نَلْتَقى وسبيلُ المُلتقى نَهَجُ
قالوا حَرَامٌ تلاقينا فقلتُ لهم ... ما فى التلاقى ولا فى قُبلةٍ حَرَجُ
مَن راقبَ الناسَ لم يظفَرْ بحاجَتِهِ ... وفازَ بالطَّيِّباتِ الفاتكُ اللَّهِجُ
أشكو إلى الله همّاً ما يُفارِقُنى ... وشُرّعاً فى فُؤادِى الدّهرَ تَعْتَلِجُ

قول بشار : وسبيل الملتقى نَهَجٌ فالنهج : البَيِّن الواضح ، وقوله : ما فى التلاقى ولا فى قبلة حَرَجٌ يروَى : ما فى التزام ولا فى قبلة حرج ، والالتزام : الاعتناق ، وقوله : وشُرّعاً فالشرع : الرماح ، والمراد بها الهموم على المجاز ، والدهرَ ظرف ، وتعتلج : تتضارب وتتمارس » .

* * *

وقال الحَجّاج بن يُوسُفَ لليلَى الأخْيَلِيَّة صاحبة تَوْبَةَ بنِ الحُمَيِّر حين قدمت عليه وقد أَسَنَّتْ وطلب إليها أن تُنْشِدَه شيئا من شعر توبة . فأنشدته الأبيات التى يقول فيها :

وكنت إذا ما زُرْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ ... فقَدْ رابَنى منها الغَداةَ سُفُورُها

فقال الحَجّاجُ : ما الذى رابَهُ من سُفورك ؟ فقالتْ : أيُّها الأمير ، كان

يُلِمُّ بى كثيراً ، فأرسلَ إلَىَّ يوماً أنى آتيكِ ، وفَطِنَ الحَىُّ فأرصَدُوا له فلَمَّا أتانى سفَرْتُ عن وَجْهى ، فعَلِمَ أنَّ ذلك لِشَرٍّ ، فلم يَزِدْ على التسليم والرُّجُوعِ ، فقال : لله دَرُّك ، فهَلْ رأيت منه شيأ تَكْرَهِينَهُ ؛ فقالت : لا واللهِ الذى أَسْأَلُهُ أنْ يُصْلِحَك ، غيرَ أنَّهُ قَال مَرَّةً قَولاً ظَنَنْتُ أنَّهُ قد خَضَعَ لِبَعْضِ الأمْرِ ، فقلت :

وَذى حاجَةٍ قلنَا له لا تَبُحْ بها ... فليسَ إلَيها ما حييتَ سَبِيلُ

لنا صاحِبٌ لا ينبَغى أن نَخُونَهُ ... وأنت لِأُخْرَى صاحِبٌ وخَلِيلُ

فلا واللهِ الذى أسألُه أنْ يُصْلِحَك ما رأيتُ منه شيئاً حَتَّى فَرَّقَ المَوْتُ بينى وبينه .

* * *

ونَزَل خارجىٌّ على بَعضِ إخوانِه منهم مَسْتَتِراً من الحَجَّاج ، فَشَخَصَ المَنزُولُ عليه لبعض حاجاتِه وقَال لِزَوجَتِه : يا فُلانَةُ ، أُوصِيكِ بِضَيْفِى هذا خيراً ، وكانت من أجمل النساء ، فلما عَاد بعد شهر قَال لها : كيف كان ضيفك ؟ قالت : ما أَشْغَلَهُ بالعَمَى عن كل شىء ! وكان الضيفُ أطبَقَ جَفْنَيْهِ ، فلم يَنظُر إلى المرأة ولا إلى مَنزِلها إلى أن عادَ زَوجُها .

* * *

وخرَجَت امرأةٌ من صالحات نساء قُرَيْشٍ إلى بابهـــا تُغْلِقهُ ورأسُها مكشوف ، فرَآها أجْنَبِىٌّ ، فرجَعَت وحلقَت شَعْرَها ، وكانت من أحْسَنِ النساء شعراً ، فقيل لها فى ذلك ؟ قالت : ما كنتُ لِأَدَع على رأسى شَعراً رآه مَن ليس لى بِمَحْرَم . . .

* * *

ومرَّت امرأةٌ حسناء بقوم من بَنى نُمَير مجتمعين فى نادِيهم ، فرَمَقوها بأبصارهم وقال قائل منهم : ما أكملَها لولا أنَّها رَسْحاء[1] ، فالتفتت إليهم وقالت: والله يا بَنى نُمير ، ما أطعْتُم الله ولا الشاعر ، قال الله : قل للمؤمنين يَغُضُّوا من أبصارهم ، وقال الشاعر[2] :

فَغُضَّ الطرف إنك مِن نُمَيْرٍ فـــلا كعباً بلَغْتَ ولا كلابا

فأخجلتهم . . .

وقال بعض المُتصَوفة : شكوتُ إلى بعض الزُّهَّادِ فسادًا أجدُه فى قلبى ، فقال : هل نَظَرْتَ إلى شىء فتاقَتْ إليه نَفْسُكَ ؟ قلت : نعم ، قال : احفَظْ عينَيك فإنَّك إن أطْلقتَهما أوقعتاك فى مَكروه ، وإنْ مَلَكْتَهما مَلَكْتَ سائرَ جوارِحك .

وقال مسلم الخواص لمحمد بن على الصوفى : أوْصِنى ، فقال : أوصيك بتَقوى الله فى أمرِكَ كُلِّه ، وإيثار ما يُحِبُّ على مَحَبَّتِكَ ، وإيَّاكَ والنَّظرَ إلى كُلِّ ما دعاكَ إليه طَرْفُك ، وشَوَّقَكَ إليه قلبُك ، فإنهما إن مَلَكاكَ لم تَمْلِكْ شيئا من جوارحك ، حتى تَبْلُغَ بهما ما يطالبانك به ، وإنْ ملكتَهما كنت الداعِىَ لهما إلى ما أردت ، فلا يَعصيان لكَ أمْراً ولا يَرُدَّان لك قولا .

وقال حكيم : مَن جرَى مَعَ هواه طَلَقًا ، جَعَلَ عليه للذُّلِّ طُرُقًا .

وقال آخر : مَن طاوع طرْفَه تابعَ حَتْفَه .

وقال سعيد بن حميد :

نظرت فقادتنى إلى الحتف نظرةٌ إلَىَّ بِمضْمُون الضمير تشيرُ

فلا تصْرِفَنَّ الطَّرْف فى كلِّ منظر فإنَّ مَعارِيضَ البلاء كثير

---

(١) الرَّسْحاء ضد العَجْزاء .

(٢) جرير .

وكان يقال : مَنْ أتعبَ نفسَهُ فى الحلالِ من النِّساء لم يَتُقْ إلى الحرام منهُنَّ ، كالطليح ، مُناهُ أنْ يستريح

ونظَرَ بعضُ الصالحين إلى غُلام جميل على فرَس رائع ، فقال : لا أدرى بمَ أُداوى طَرْفى ؟ ولا بمَ أُعالِجُ قلبى ؟ ما أتوبُ إلى الله من ذنب إلا رجعتُ ، ولا أستغفره من أمْرٍ إلاَّ أتيتُ أعظَمَ منه ، حتى لقد استحييْتُ أنْ أسألَهُ المغفرة لِمَا يلحَقُ قلبى مِنَ القُنوط مِن عفْوِهِ ، لعظيم حالى بالمُنكَر الذى أصنعُهُ ، فقال له قائل : وأىَّ مُنكر أتيت ؟ فقال : أتُريد منِّى أكثرَ من نظَرى هذا ! والله ، لقد خشيتُ أنْ يُبطِلَ كُلَّ عَمَلٍ قدَّمتُهُ ، وخَيْرٍ أسلفتُهُ ، ثُمَّ بكَى حتَّى ألصَقَ خدَّه بالأرض ...

وقالت عاتكة المُرِّيَّة :

وَما طَعْمُ ماءٍ أىِّ ماءٍ بِعُزْلَةٍ تَحَدَّرَ مِن غُرِّ طِوالِ الذوائبِ (١)
بِمُنْعَرَجٍ من بَطْنِ وَادٍ تقابلَتْ
عليه رِياحُ الصَّيفِ مِن كُلِّ جانبِ (٢)
نَفَتْ جَرْيَةُ الماءِ القَذَى عَن حُتونِهِ فايس به عَيبٌ تَرَاهُ لِعائِبِ
بأطْيَبَ مِمَّنْ يَقْصِرُ الطَّرْفَ دُونَهُ تُقَى اللهِ واستِحياءُ العواقبِ

وقال الأحْوَص : — شاعر إسلامى مَدَنى كان معاصر الجرير والفرزدق — :

قالت — وقلتُ : تَحَرَّجِى وصلى حبلَ امرئٍ بوصالكُمُ صَبِّ —
صاحِبْ إذَن بَعْلِى ، فقلتُ لها الغَدْرُ شَىءٌ لَيْسَ مِنْ ضَرْبِى

---

(١) الغُرُّ : السحاب .

(٢) بمنعرج : بمنعطف .

شيئانِ لا أدْنُوا لِوَصلِهما عِرْسُ الخَليل وجارةُ الجنْبِ (١)
أمَّا الخليـــلُ فلَسْتُ فاجِعَهُ والجـــارُ أوصانِى بِهِ رَبِّى

* * *

وكان هذا الأَحْوَصُ قد أكثر القول فى أُمِّ جعفر — امْرَأَةٌ من الأنصار من بنى خطْمَةَ — وشاع تشْبيبُه بها ، فجاءت يوماً مُنْتَقِبَةً ، فوقفَتْ عليه فى مجلس قومِه ، ولا يَعْرِفُها ، وكانت امرأةً عَفيفَةً ، فقالت له : اقْضِ ثمنَ الغَنَمِ التى ابْتَعْتَها مِنِّى ، فقال : ما ابْتَعْتُ منك شيأ ، فأظهرتْ كِتاباً قد وضعتْهُ عليه وَبكتْ وشكتْ حاجةً وضُرًّا وفاقةً وقالت : يا قَوْم ، كَلِّموهُ ، فلامه قومُه وقالوا : اقْضِ المـــرأةَ حَقَّها ، فجعلَ يَحْلِفُ أنَّه ما رآها قطُّ ولا يعرفُها ، فكَشفتْ وجْهَها وقالت : وَيحَكَ ! أما تَعْرِفُنِى ! فجعلَ يَحْلِفُ مُجْتَهِدًا أنَّه ما يعرفُها ولا رآها قطُّ ، حَتَّى إذا استفاضَ قولُها وَقولُه واجتمعَ الناسُ وكثُرُوا وسمِعوا ما دار وكَثُرَ لَغَطُهم وأقْوالُهم ، قامت ثمَّ قالت : أيُّها الناس اسكُتوا ، ثمَّ أقْبلَتْ عليه وقالت : يا عَدُوَّ الله ! صَدَقت والله مالِى عليك حَقٌّ ولا تَعْرِفنِى ، وقَدْ حَلفْتَ على ذلك وأنت صادِق ، وأنا أُمُّ جعفر ، وأنت تقول : قلت لأُمِّ جعفر وقالت لى أُمّ جعفر فى شِعرِك ! فَخَجِل الأَحْوص وانْكَسَرَ عن ذلِك وَبَرِئَتْ عندهم .

وكان مما قال فيها :

لَقَدْ مَنَعَتْ معْرُوفَهـــا أُمُّ جعفرٍ وإنِّى إلى معْروفهـــا لفقيرُ
وَقَدْ أنْكرَتْ بَعْدَ اعْتِرافٍ زِيارَتِى وَقَدْ وَغِرَتْ فيهـــا عَلَىَّ صُدُورُ

---

(١) جارة الجنب يريد امرأة جارى الذى يقرب منى ويكون إلى جنبى .

أَدُورُ ولَوْلاَ أَنْ أَرَى أُمَّ جعفَرٍ بأبياتِكم ما دُرْتُ حيثُ أَدُورُ
أَزُورُ البُيُوت اللاحِقَاتِ بَيْتِهـا وَقلبي إلى البَيتِ الذى لا أَزُورُ
وَما كنتُ زَوَّاراً وَلكنَّ ذَا الهَوى إذا لم يَزُرْ لا بُدَّ أَنْ سَيَزُورُ

* * *

وَمن كناياتهم عن العفة :

تقول العَرَب : فلان عفيف الإزار ، خفيفٌ من الأوزار ، والإزار فى الأصل : كُلّ ما واراك وسترك من الثياب ، أو تقول : الإزار : ما ستر النصف الأسفل من الإنسان ، وقال عَدِيّ بن زيد يَصِفُ جارِيةً :

أَجْـــلِ أَنَّ اللهَ قَد فَضَّلكم فَوقَ ما أَحْكِى بِصُلْبٍ وإزَارْ

أَجْلِ أى من أَجل ، والصُلْب الحَسَب ، وأراد بالإزار هنا : العِفَّة تقول : إنَّ الله فضلكم بحَسَبٍ وعفاف فوقَ ما أَحْكِى ، أى ما أقول (١) .

وقالت خِرْنِقُ بنت هَفَّان تَرْثِى زَوجَها عَمْرَو بن مَرْثَد وابْنَها عَلْقَمَةَ ابنَ عَمْرو وأَخَوَيْهِ حَسَّانَ وشُرَحْبِيلَ — وخِرْنِق هى أخت طَرَفـــة ابن العبد أو عمّته . . .

لا يَبْعَدَنْ قَوْمِى الذِين هُمُ سُمُّ العُدَاةِ وآفَةُ الجُزْرِ (٢)
النازلونَ بكلِّ مُعْـــتَرَكٍ والطَّيِّبونَ مَعَاقِدَ الأُزْرِ (٣)

---

(١) ويروى بيت عدى على وجه آخر ومعنى آخر .

(٢) العداة : الأعادى والجزر جمع جزور : البعير أو الناقة المجزورة ، تصفهم بالبأس والكرم ، وكان نساء العرب — إذا حُمِلَ الميت من بيته أو وُورِىَ قبره يقُلْنَ : لا يَبْعَد يرون بذلك أننا أحوج ما نكون إليك فلا تحجب ، دوننا أثرَ يمينك ولا نور جبينك .

(٣) ويروى : النازلين ، والطيبين معاقد الأزر .

إنْ يَشْرَبوا يَبوُا وإنْ يَذَرُوا ... يتواعظوا عَنْ مَنْطِقِ الهُجْرِ
قَومٌ إذا رَكِبوا سَمِعتَ لهم ... لَغَطاً مِن التأْبِيهِ والزَّجْرِ
والخالطينَ نَحِيتَهُم بنُضارِهِمْ ... وَذَوِى الغِنَى منهم بِذِى الفَقْرِ
هذا ثنائى ـ ما بقيت ـ عليهمُ ... فاذا هلكتُ أجَنَّنِى قَبْرِى

« قولها : وآفة الجُزْر فالجُزُر جمع جَزور ، وهى : الناقة تجزَر وتقطَع تصفهم بالكرم وقولها : النازلون بكل معترك تريد معترك الحرب تصفهم بالشجاعة ، والطيبون معاقد الأُزْر فالأُزر بسكون الزاى للضرورة جمع إزار تصفهم بالعفة ، والهجر : الفُحْش ، واللغط : الجلبَة والتأبيه : الصوت ، يقال : أيّهْتُ به تأييها : إذا صِحْتَ به ، والنَّحِيت : الدَّخِيلُ فى القوم ، والنضار : الخالص النسب ، وأرادت بالبيت الأخير : أنها قد قام عذرُها فى تركها الثناء عليهم إذا ماتت ، فهذا ما وُضع فيه السبب موضعَ المسَبَّب ، لأن المعنى : فاذا هلكتُ انقطع ثنائى ، وإنما قالت جَنّنى قبرى لأن موتها سببُ انقطاع الثناء » .

* * *

ويقولون : فلان طاهر الثوب وطاهر الثياب : إذا وَصفوه بطهارة العِرْض والبَرَاءة من العيب ؛ قال تعالى (وثِيابَكَ فَطَهِّرْ) يقول سبحانه : لا تلبَسْ ثيابك على معصية ولا على فجور ؛ وقيل : غير[1] ذلك ويقولون فى ضد ذلك : فلانٌ دَنِسُ الثياب : إذ كان خبيث العِرْض .

* * *

(١) قيل : لا تكن غادراً فتدنس ثيابك فان الغادر — دنس الثياب — وقيل : عملك فأصلح ، وقيل : نفسك فطهر ، والعرب تكنى بالثياب عن النفس ، وقيل : فطهر ، أى قَصِّرْ فانّ تقصيرها طهر .

ويقولون : فلان أبيضُ ، وفُلانَة بيضاء ، يعنونَ نَقاء العرض مِن الدَّنَسِ والعيوب ، وهو كثير فى شِعرهم ، لا يريدونَ بذلك بياض اللون ، ولكنهم يريدون المَدحَ بالكَرَم — ضد اللؤم — ونقاء العِرض من العيوب ؛ ومن ذلك قولُ زُهَير :

أشم أبيضُ فيّاضٌ يُفَكُّكُ عَنْ أيْدِى العُناةِ وعن أعنافها الرِّبَقا (١)

وقال :

أُمُّكَ بيضاء مِن قُضاعَةَ فى الـ بَيتِ الذى تَسْتَظِلُّ فى طُنُبِهْ

وإذا قالوا : فلانٌ أبيَضُ الوَجه وفلانَة بيضاءُ الوَجه أرادوا نقاء اللَّون مِن الكَلَف والسَّوادِ الشائن .

ويقولون فى عِفَّة الإنسان : فلان ما وضَعَت مومس عِنده قناعاً ، أوْ ما قَلبت له كفّ لامِسٍ .

وقال بعضهم :

فقالت : بحَق الله إلاَّ أتَيْتَنَا إذا كان لونُ الليل ليلَ الطيالِس

فجِئتُ وما فى القوم يَقْظانَ غيرها وقد نام عنها كلُّ والٍ وحارس

فَبِتْنَا بِلَيْلٍ طَيِّبٍ نستَلِذُّه جميعاً ولَمْ تُقْلَبْ بها كَفُّ لامِسِ

فقد كَنَى بذلك أجْمَلَ كِنايَةٍ عن العفة وتنزيه النفس وصيانَة الجيب

---

(١) الشمم فى الأنف : ارتفاع القصبة وحسنها واستواء أعلاها وانتصاب الأرنبة واذا وصف الشاعر فقال : أشم فإنما يعنى سيدا ذا أنفة ، وفياض : وَهَّاب جواد والعُناة جمع عان وهو الأسير ، والربق جمع ربقة وهى فى الأصل : عُروة فى حَبل تجعل فى عنق البهيمة أو يدها تمسكها ، وقالوا على المثل : فَرَّجَ عنه ربقته أى كُرْبَته ومثل هذا كثير .

عما يُريب . . . ومما يصح أن يندمج فى هذا الباب ويعدّ فى باب الكناية عن الفعل بترك ذكره قولُ عبد الله بن المعتز :

سَقَى المَطيرَةَ ذاتَ الظِّلِّ والشَّجَرِ ... ودَيرَ عبدونَ ، هَطّالٌ مِن المَطَرِ (١)

يا طالمـــا نَبَّهَتْنى للصَّبُوحِ بِهِ ... فى ظُلْمةِ الليل والعُصفُورُ لم يَطِرِ (٢)

أصْوَاتُ رُهْبَانِ دَيرٍ فى صلاتِهِم ... سُود المَدارِعِ نَعَّارِينَ فى السَّحَرِ (٣)

مُزَنَّرِينَ على الأوساط قد جَعَلُوا ... على الرءوس أكاليـــلا من الشَّعَرِ

كم فيهم من مَليح الوَجْه مُكتَمِلٍ ... بالسِّحر يُطْبِقُ جَفْنَيْهِ على حَوَرِ (٤)

لاحَظْتُهُ بالهـــوَى حتى استقادَ له ... طوعًا وأسلفَـــنى الميعادَ بالنَّظَرِ

وجاء من فى ظلام الليل مُستَتِرًا ... يَستعجل الخَطْوَ من خوفٍ ومِن حَذَرِ

فَقُمتُ أفرِشُ خَدِّى فى التُّرابِ له ... ذُلاً وأسْحَبُ أذيالِى على الأثَرِ

ولاحَ ضَوءُ هِـــلالٍ كادَ يَفضَحُنَا ... مثل القُلامَةِ قد قُصَّت مِن الظُّفُرِ

فكانَ ما كان مِمَّا لَستُ أذكُرُه ... فَظُنَّ خـــيراً ولا تسأل عن الخَبَرِ

ومما عَدُّوه فى هذا الباب ما يُروَى : أن عبد الملك بنَ مَرْوانَ أحْضر الفَرزدقَ وجَريرًا والأخطل ، وقال : ليَصِفْ كلٌّ منكم مركبًا حتى أدفعَه إليه ، فوصف جرير فرساً ، والأخطل ناقةً ، وقال الفرزدق :

---

(١) المطيرة : قرية من نواحى سامراء — سُرَّ من رأى — وكانت من متنزهات بغداد وسامراء ، ودير عبدون : بسامُرَّاء بجانب المطيرة — ياقوت — .

(٢) الصبوح : شرب الخمر صبحاً .

(٣) المدارع جمع مدرَعة : جُبَّةٌ مشقوقة المقدَّم من الصوف .

(٤) الحَوَر : أن يشتدّ بياض العين وسَوادُ سوادِها وتستديرَ حدقتها وترِقَّ جفونها .

ما مركب وركوبُ الخيل يعجبنى ... كمركب بين دملوج وخلخال
ألَذ للفـــارس المُجْرِى إذا انبهرَتْ ... أنفاسُ أمثالِها مِن تحتِ أمثالى (١)

وأومأ إلى جاريةٍ رائعةٍ كانت على رأس عبد الملك ، فقال عبد الملك : خذ بيدها ، فقالت : اللهَ اللهَ فِىَّ يا أمير المؤمنين ، أتدفعُنى إلى هذا الأعرابىّ الجلف ! فقال : ليَنْطَلِقْ بك ، فَمَضى وأخَذَها ، ومن هذا أخَذ بعضهم قوله :

وطَرِبتُ طربةَ فاسقٍ متهتكٍ ... وعَقَدْتُ صَبْوَةَ ناسكٍ متحرج
والله يعلم كيف كانت عفّتى ... ما بين خلخال هناك ودُمْلُج

وهذا أدنى إلى الكناية عن العفّة .

الزنا والسحاق :

الزِّنَا يُمَدُّ ويُقْصَرُ ، زَنَى الرَّجُلُ يَزْنِى ، مَقْصورٌ ، وزِناء ، ممدود ، قال الشاعر :

أمَّا الزِّناءُ فإنى لَسْتُ قارِبَهُ ... والمالُ بَيْنِى وبَينَ الخمرِ نصفانِ

قال اللّحيانى : الزِّنا مقصور : لغة أهل الحجاز ، قال الله تعالى (ولا تقْرَبوا الزِّنا والزِّناء ممدود : لغة بنى تميم ، والنِّسبةُ إلى المقصور زَنَوِىّ ، وإلى الممدود زِنائِىٌّ ، وزَنَّاهُ تَزْنِيَةً : نَسَبَهُ إلى الزِّنا وقال له : يا زَانى ، ويقال للولد إذا كان من زنى : هُوَ ابنُ زَنْيَةٍ ، وفلانٌ ابن زَنْيَة وزِنية ، والفتح أعْلى وهو تفيض قولك : لِرِشْدَةَ ورَشْدَة .

* * *

(١) انبهرت : انقطع نَفَسُها من الاعياء .

تحريم الزنا :

قال عزّ وتقدّس (ولا تقربوا الزّنا إنّهُ كانَ فاحشةً وساء سبيلا) .

« قوله سبحانه (ولا تقربوا الزنا : أى بالعزم والاتيان بالمقدّمات ، فضلا عن أن تباشروه ، وقوله : إنه كان فاحشةً : أى عملا قبيحاً مُعْيناً فى القبح زائدا عليه ، وقوله (وساء سبيلا) أى بئسَ طريقاً طريقُه ، قال الزّمخشرى : وهو أن تُغْصِبَ غيرك امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب — أى من غير طريق مشروع — والسببُ ممكن وهو المَهْرُ الذى شرعه الله » .

وفي الحديث الشريف (لا يَزْنِى الزانى حينَ يزنى وهو مُؤمن ، ولا يَشْرَبُ الخمرَ حين يَشْرَب وهو مُؤمن ، ولا يَسْرِق حين يَسْرِق وهو مؤمن) وفى الحديث أيضاً (إياكم والزنا فإنّ فيه ستّ خصال : ثلاثٌ فى الدنيا ، وثلاث فى الآخرة ، فأمّا اللواتى فى الدنيا ، فَذَهابُ نُور الوَجْهِ ، وانقطاعُ الرزق ، وسُرْعة الفَناء ، وأمّا اللواتى فى الآخرة فَغَضَبُ الرَّب ، وسُوءُ الحِساب ، والخلود فى النار ، إلاّ أن يشاء الله تعالى) .

وفى الحديث أيضاً (مِن أشراط الساعة أن يُرفع العلم ، ويظهرُ الجهل ، وتشْرَبَ الخمر ، ويَظهرُ الزّنا ويَقِلّ الرجال : وتكْثُرَ النّساء حتى يكونَ للخمسين امرأةً القَيِّمُ الواحد) .

عقوبة الزانى :

قال سبحانه وتعالى (الزانيَة والزانى فاجْلِدوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جَلْدَة ، ولا تأخُذْكُم بهما رأفةٌ فى دين الله إن كنتم تُومِنون بالله واليوم الآخر ، وليَشْهد عذابَهما طائفةٌ من المؤمنين) .

يروى أنه سُئل جعفر بن محمد بن على رضى الله عنهم عن قول المصطفى :

لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، فأدار دائرةً كبيرةً وأدار وسطها دائرةً صغيرة ، وقال : الكبيرة هى الإسلام والصغيرة هى الإيمان ، فإذا زنى خرج فى ذلك الوقت من الإيمان إلى الإسلام ، فإن كفر خرج من الدائرة الكبيرة إلى الشرك والكفر والعياذ بالله .

قال علماؤنا : إنما قدَّم الزانية لأنَّ الزِّنا فى الأغلب يكون بتعرُّضها للرجل وعرْض نفسها عليه ، ولأن مفسدته تتحقَّقُ بالإضافة إليها ، والجَلْدُ : ضَرْبُ الجِلْدِ ، وَهُوَ حُكْمٌ خاصٌّ بِمَنْ ليس بمُحْصَن ، أمَّا حدُّ المحْصَن فهو الرَّجم[1]

---

(١) هذا هو الزنا فى الإسلام أما فى القوانين المصرية المأخوذة عن القوانين الفرنسية فقد جعل الشارع وجهته الأولى فى التشريع الرضا والاكراه والعلنية والاستتار وسن المجنى عليه ، وشرع فى الجميع الحبس الثقيل والحبس الخفيف على حسب الظروف والأحوال ، فإذا كان الفعل عبارة عن فسق بصبية — أو صبى — مهما كان نوع الفاحشة فالعقاب السجن أى الحبس الثقيل ، و إن كان بامرأة أو ذكر بالغين فالعقاب يختلف ، فان كان بالاكراه فالحبس الثقيل جدا المعروف بالأشغال الشاقة ، و إن كان بغير إكراه وكان المفسوق به ذكرا فلا عقاب ، و إن كانت أنثى فان كانت متزوجة فعقابها الحبس من ثلاثة أشهر إلى سنتين وعقاب الفاعل كذلك ، و إن كانت غير متزوجة فلا عقاب عليها ولا على من فعل بها ، وقد جعل هذا القانون للزوج الحق فى إسقاط العقاب عن زوجته إذ شاء ، كما جعل له دون غيره الحق فى إقامة الدعوى عليها ، أما عقاب الزوج الذى يزنى فى منزله الذى تقيم فيه زوجته فعقابه الحبس من شهر إلى ستة أشهر وغرامة لا تزيد على ألف قرش ، ويشترط فى عقابه أن تكون الشكوى من الزوجة دون غيرها ، فاذا زنى فى غير منزله بامرأة غير متزوجة و برضاها فلا عقاب عليه ، و إذا زنى فى غير منزله بمتزوجة و برضاها ولم يشتك منه زوجها فلا عقاب عليه ولا عليها ؛ ومن فعل فعلا فاضحاً أو فاحشة غير مستتر برضا المجنى عليه أو عليها فعقابه الحبس من شهر إلى سنة وغرامة لا تزيد على ألف قرش .

وَالإحصان يتوفر بهذه الأشياء : الحرية [1] ، وَالبلوغ والعقل ، والتزوج بنكاح صحيح ، فإذا فقدت واحدةٌ من هذه الأشياء فلا إحصان . وقوله سبحانه : ولا تأخُذْكم بهما رأفة فى دين الله . . . الآية ، فإن الواجب على المؤمنين أن يتصلبوا فى دين الله . وأن يستعملوا الجِدّ والمتانة — القوّة — فيه ولا يأخُذهم اللين والهوادة فى استيفاء حدوده ، وكفى برسول الله أُسْوةً فى ذلك حيث قال ولَوْ سَرَقت فاطمةُ بنت محمد لقطعتُ يدَها وقوله سبحانه (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فهو من باب التهييج وإلهاب الغضب لله ولدينه . وقوله سبحانه (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ، زيادة فى التنكيل فإنَّ التشهير قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب ، والطائفة المراد بها جمع يحصل بها التشهير) .

«وبعد» فإن هذه الكبيرةَ — كبيرةَ الزنا هى من أُمّهات الكبائرُ فى الإسلام ، ولهذا قَرَنَهـــا الله بالشرك وقتل النفس فى قوله سبحانه [2]

فللاكراه والمجاهرة شأن عظيم فى العقاب على مذهب القانون المصرى ، وقد جاء فيه كذلك أنه إذا أغرى إنسان صبية يقل عمرها عن أربع عشرة سنة وفعل بها الفاحشة فعقابه أشد عقاب ورد بعقوبة هاتك العرض كرهاً أى الأشغال الشاقة سبع سنوات ، وإذا كان سن المفتونة أو المخطوفة فوق الخامسة عشرة فالعقاب الحبس الخفيف من ثلاثة أشهر إلى سنة ولو كانت المخطوفة أو المفتونة متزوجة فالعقاب الأشغال الشاقة ، ولو تزوج الخاطف بمخطوفته أو مفتونته غير المتزوجة فلا عقاب عليه .

(١) أما العبد فانه . يجلد خمسين جلدة فقط عند أبى حنيفة وعند الشافعى ثلاثة أقوال : يجلد خمسين جلدة ويغرّب سنة كالحر وقيل يغرب نصف سنة وقيل : لا يغرب .

(٢) فى سورة الفرقان .

(والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التى حرّم الله إلا بالحق ، ولا يزنون ومَنْ يفعل ذلك يَلْقَ أثاماً[1] ، يُضاعَفْ له العذاب يومَ القيامة ويَخْلُدْ فيه مُهاناً) والذلك وفّى الله فيه عقد المائة بكماله ، بخلاف حدّ القذف — قذف المحصنات — وشرب الخمر ، وشرع فيه القتلة المهولة ، وهى الرجم ، ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه ، وأمر بشهادة الطائفة للتشهير . . .

* * *

قُبح المعصية :

وجاء فى طوق الحمامة للإمام ابن حزم تحت عنوان و « قبح المعصية » ما يأتى مع شىء من التصرّف ، قال رحمة الله عليه :

وكثير من الناس يُطيعون أنفسَهم ويعصُون عُقولهم ، ويتبعون أهواءهم ويرفضُون أديانَهم ويتجَنّبون ما حَضّ الله تعالى عليـــه ورتّبَه فى الألباب السليمة ؛ من العِفة وترك المعاصى ومُقارَعة الهَوَى ، ويُخالفُون الله ربَّهم ويُوافِقون إبليس فيما يُحبّه من الشهوة المُطْبِقة ، فيُواقعون المَعْصِيَة فى حُبِّهم ؛ وقد علمنا أن الله عزّ وجلّ رَكّبَ فى الإنسان طبيعتَيْن متضادّتَيْن ، إحداهما لا تُشير إلاّ بخير ولا تحُضّ إلا على حَسَن ولا يتصوّرَ فيها إلا كلُّ أمْرٍ

---

(١) أثام كلام هو ما يترتب على فعل الإثم ، قال أبو نواس :

ولقد نهـــزت مع الغُواة بدَلْوهم ... وأبحتُ مَرْح اللهـو حيث أساموا

وبلغت ما بلغ امرُؤ بشبـــابه ... فاذا عُصـــارَةُ كلّ ذاك أثامُ

« فإذا عُصارةُ كُلّ ذاك أثامُ ، أى أنّ عصارة الغواية والاستخذاء الأهواء الخزى والعطب والآلام والأسقام والندم والأسف فى الدنيا وغضب الله وعذابه فى الآخرة » ،

مَرْضِيّ . وهى العقل ؛ وقائدهُ العَدْلُ ، والثانيةُ ضِدٌّ لها ؛ لا تُشيرُ إلاّ إلى الشهوات ولا تَقُودُ إلا إلى الرَّدَى ، وهى النفس ؛ وقائدها الشهوة ، والله تعالى يقول (إنَّ النَّفْسَ لأمّارَةٌ بالسوء) فهاتان الطبيعتان قُطبانِ فى الإنسان وهما قُوّتان مِن قُوى الجسد الفعّال بهما ، ومُطَرَّحان مِن مَطارح شُعاعات هٰذين الجوهَرَين العجيبَين الرَّفيعَيْنِ العُلْوِيَّيْن ، فِى كُلِّ جَسَدٍ مِنهما حَظُّهُ على قدر مقابلته لهما فى تقدير الواحدِ الصَّمَد تَقَدَّسَتْ أسماؤُه حين خَلَقَهُ وهَيَّأه ، فهما يتقابلان أبَدًا ويتنازَعان دَأْبًا : فإذا غَلَبَ العَقْلُ النَّفسَ ارتَدَع الإنسانُ وَقَمَعَ عَوارِضَه المَدخولَةَ واستضاء بنُور الله واتَّبَعَ العَدْل ، وإذا غلبتِ النَّفْسُ العقل عميتِ البَصيرَةُ ولم يَصِحَّ الفرقُ بين الحَسَن والقَبيح ، وعَظُمَ الالتباس وتَرَدَّى المَرْء فى هُوَةِ الرَّدَى ومَهْواةِ الهلكة ، وبهذا حسُنَ الأمْرُ والنَّهى ووجَب الاكتمال ، وصَحَّ الثَّواب والعقاب واستُحِقَّ الجزاء ؛ وإن الوُقوفَ عند حَدِّ الطاعَة لمَعْدُومٌ إلا مَعَ طُول الرِّياضَة وصحّة المَعرفَة ونَفاذِ التمييز ، ومع ذلك اجتنابُ التعرُّض للفتَن ومُداخَلَةُ الناس جملةً والجلوسُ فى البيوت ، وبالحَرِيِّ أن تقَعَ السلامَةُ المضمونة ، أو يكونَ الرجلُ حَصوراً لا أرب له من النِّساء ولا جارِحَة له تعينه عليهن .

صدر من مُلَحِهم فى هذا الباب — باب الزنا :

أنْشَدَ الفَرَزدقُ هِشامَ بن عبد الملك قصيدته التى يقول فيها :

وَبِيضٍ كالدُّمَى قد بِتُّ أَسْرِى ... بِهِنَّ إلى الخِلاَءِ عن النيامِ

ثَلاثٌ واثنتانِ فَهُنَّ خَمْسٌ ... وسادِسَةٌ تَميل إلى الشِّمامِ[1]

---

(١) يريد بالشمام : القُبَل والرشف .

فَبِتُّ بِجَانِبَيْ مُطَرَّحَاتٍ ... وَبِتُّ أَفُضُّ أَغْلَاقَ الْخِتَامِ (١)

فقال هشام : أَحْلَلْتَ نَفْسَكَ يا فرزدق : أَقْرَرْتَ عندى بالزنا وأنا إمام ، ولا بُدَّ لى من إقامة الحدّ عليك ، فقال : بِمَ أَوجَبْتَ ذلك علىَّ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بكتاب الله : الزانية والزانى فاجلدوا كلَّ واحد منهما مائة جلدة . قال الفرزدق : فإن كتاب الله يَدْرأ — يَدْفع — عَنِّى ، قال الله جل ثناؤه (والشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُون . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُم فى كُلِّ وادٍ يَهِيمُون ، وأَنَّهُم يقولون ما لا يفعلون) فأنا قلت ما لم أفعل . .

أقول : ومن هذه القصّة أخذ الصفى الحلى قوله :

نَحْنُ الذين أَتَى الكتابُ مُخَبِّرًا ... بعفاف أنفسنا وفِسق الأَلْسُنِ

* * *

وقيل لرجل فى امرأته — وكانت لا تَرُدُّ يدلامِس (٢) — : عَلَامَ تَحْبِسُهَا — أى تُبْقى عليها — مع ما تعرف منها ؟ فقال : إنَّها جميلة فلا تُفَارِقُك — لا تبغَضُ — وأُمُّ عيال فلا تُتْرَك .

* * *

وقيل لأبى الطَّمَحان القَيْنِىّ : خَبِّرْنا عن أَدْنَى ذُنُوبك ، قال : ليلة الدَّيْر ، قالوا : وما ليلة الدَّير ؟ قال : نزلت على دَيْر أَنِيَّةٍ ، (٣) فأَكَلْتُ طُفَيْشَلًا (٤)

---

(١) مطرحات يروى : مصرّعات . وقوله أفض اغلاق الختام أراد ختام الأغلاق فقلب وهذا كناية عن انقضاض العذارى قبحه الله .

(٢) كناية عن فجرها .

(٣) صاحبة الدير .

(٤) نوع من المَرَق .

بِلَحْمِ خِنزير ، وشربت من خَمْرِها ، وزنيتُ بها ، وسرقت كِساءها ، ومَضَيْت..

* * *

بات أعرابيٌّ ضيفاً لبعض الحُضَر ، فرأى امرأةً ، فهمَّ أنْ يخالفَ إليها في أول الليل ، فمنعَه الكلب : ثمَّ أرادَ ذلك نِصْفَ الليل فمنعه ضَوْءُ القمر ، ثم أراد ذلك في السحر فإذا عجوزٌ قائمةٌ تُصَلّي ، فقال :

لم يَخْلُقِ اللهُ شيئاً كنتُ أكرَهُهُ غيرَ العَجوزِ وغيرَ الكلبِ والقَمَرِ
هذا نَبوحٌ وهـذا يُسْتَضاءُ به وهـذه شَيْخَةٌ قوّامَةُ السَّحَرِ

وقال الهيثم بن عدى : قدمت امرأةٌ من كَلْبٍ شَرِيفَةٌ مَكَّةَ للحج — وكانت من أجمل النساء — فرآها عُمَرُ بن أبي رَبيعةَ فجعلَ يُكلِّمها ويَتْبَعُها كُلَّ يوم ، فتقول له : إليك عنى فإنَّك في حَرَم الله وفي أيام عظيمة الحرمة ، فألَحَّ عليها ، فخافت الشُّهرة — الفضيحة — فقالت لزوجها ذاتَ يوم : إنِّى أُحِبُّ أنْ أتوكَّأ عليك إذا رُحْتُ إلى المسجد ، فراحَتْ مُتَوَكِّئَةً على زوجها ، فلمَّا أبصرَها عُمَرُ ولَّى ، فقالت : على رسلك يا فتى !

تَعْدو الذِّئابُ على مَن لا كلابَ له وتَتَّقي مَرْبِضَ المُسْتَفْرِ الحامي

«هذا البيت للنابغة الذبياني من قصيدة مطلعها :

قالت بَنو عامرٍ خالوا بَنى أسَدٍ يا بُؤسَى للجهل ضَرَّارًا لأقـوام

وخالوا بنى أسد : قاطعوهم ، واستَفَرَ الكلب : إذا أدخل ذَنَبَهُ بين فخذيه حتى يُلزِقَه ببطنه ، وهو الاستفار» .

* * *

وقال جرير فى الفرزدق :

لَقَد وَلَدَتْ أُمّ الفرزدق فاجراً ... لجأت بِوَزْوازٍ قصيرِ القوائم (١)

يُوَصِّلُ حَبْلَيْهِ إذا جُنَّ لَيْلُهُ ... لِيَرْقَى إلى جارانِهِ بالسَّلالِمِ

وَما كانَ جارٌ للفرزدقِ مُسلِمٌ ... لِيَأمَنَ قِرْداً لَيْلُهُ غيرُ نائمِ (٢)

أَتَيتَ حُدودَ اللهِ إذْ كُنتَ يافِعاً ... وشِبتَ فما يَنهاكَ شَيبُ اللَّهازِمِ (٣)

تَتَبَّعُ فى المأخورِ كُلَّ مُرِيبَةٍ ... ولَستَ بأَهلِ المُحْصَناتِ الكرائمِ

هو الرِّجْسُ يأَهْلَ المدينةِ فاحْذَروا

مَداخِلَ رِجْسٍ بالخبيثاتِ عالِمِ

لَقَدْ كانَ إخراجُ الفرزْدَقِ عَنكُمُ ... طَهوراً لما بينَ المُصَلّى وواقِمِ (٤)

* * *

وَجاء أَبو كبير الهُذلى إلى سيدنا رسول الله فَسَأَلَهُ أَن يَحِلَّ له الزِّنَا ؛ فقال ﷺ : أَتُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إليك مثلُ ذلك ؟ قال : لا ، فقال عليه السلام : فارْضَ لِأخيك ما ترضى لنفسك ثم قال : فادْعُ الله لى أَنْ يُذْهِبَ مِنِّى الشَّبَق ؛ فدعا له ؛ وفى ذلك يقول حَسّان بن ثابت :

سألَتْ هُذَيلٌ رَسولَ اللهِ فاحِشَةً ... ضَلَّتْ هُذَيلٌ بِما سالَتْ ولم تُصِبِ (٥)

---

(١) الوزواز : الكثير النزوات والتحرك ، نسبه إلى الطيش .

(٢) ليأمن قرداً : يرميه بالزنا والفجور ، والعرب تقول : هو أزنى من قرد .

(٣) حدود الله : محارمه ، واللهازم : أصول اللحيين جمع لهزمة .

(٤) المصلى : موضع فى عقيق المدينة وواقم : أطم من أطام المدينة .

(٥) سالت أراد : سألت بخفف الهمزة .

سألوا نبيَّهم ما ليس معطيهم حتى المماتِ وكانوا عُرَّةَ العربِ (١)

* * *

وقالت عجوز لزوجها : أما تستحي أن تزني وعندك حلالٌ طيّب ؟ فقال : أمّا حلال فنعم ، وأمّا طيّب فلا . . .

* * *

وأُتِيَ ابنُ أبي مُساحِق بابن أُختٍ له وقد أحبلَ جاريةً — فتاةً — من جواري جيرانه ، فقال له : يا عدوَّ الله ، إذا ابتُليتَ بالفاحشة فهلاّ اعتزلتَ ؟ قال : جُعِلتُ فداك ، بلغني أنّ العزلَ مكروه ، قال : أفما بلغك أنّ الزنا حرام . . .

وقيل لابنة الخُسّ — وهي هند بنت الخُسّ بن حابس بن قُرَيط الإيادية ، وكانت معروفةً بالفصاحة ، ورُوِيَ لها أمثال كثيرة تداولتها العرب ، وكانت قد زنتْ بعَبْدِها ، فأتت بغلام ، فقيل لها : لِمَ زنيتِ وأنت سيِّدَةُ قومِكِ ؟ فقالت : قُربُ الوِساد ، وطولُ السَّوَار ، « الوِساد : المخدة ، والسَّوار : المسارَّة ، وقيل : المراوَدة » .

وقال لها أبوها يوماً . . . أيُّ شيءٍ في بطنك ؟ أخبرني به وإلا ضربت رأسَكِ ، فقالت : أرأيتَكَ إنْ أخبرتُكَ بما في بطني أيكفُّ ذاكَ عنّي عذابَكَ اليوم ؟ قال : نعم . قالت : أسفلُه طعامٌ وأعلاهُ غلام ، فاسأل عما شئت . قال : أيّ المال خير ؟ قالت : النَّخل ، الراسخاتُ في الوحلِ ، المطعِمات في

---

(١) عُرَّة العرب : فضيحتهم وشَينهم أو تقول : كانوا شرَّ العرب .

المحل ؛ [١] قال : وأىُّ شىء ؟ قالت : الضأن قريةٌ لا وباء بها ؛ [٢] نُنْتِجُها رُخالا [٣] ، ونَحْلُبُها عُلالا [٤] ، ونَجُزُّ لها جُفالا [٥] ، ولا أرى مثلها مالا ؛ قال : فالإبل مالاكِ تؤخرينها ؟ قالت : هى أذكارُ الرجال [٦] ، وإرقاءُ الدماء، [٧] ومهورُ النساء ؛ قال : فأىُّ الرجال خير ؟ قالت :

خيرُ الرجالِ المـــرهَّقُونَ كما خيرُ تِلاعِ البلادِ أكلؤُها [٨]

قال : أيهم ؟ قالت : الذى يُسْأَلُ ولا يَسْأَلُ ، ويُضيف ولا يُضَاف ؛ ويُصْلِح ولا يُصْلَح ، قال : فأىُّ الرجال شرّ ؟ قالت : النُّطَيْطُ النطَيْطُ ، [٩]

---

(١) الجدب ، نقيض الخصب .

(٢) لا وباء بها : لا حمى .

(٣) رخل ورخال كظئر وظؤار : الأنثى من أولاد الضأن .

(٤) علا لا من العَلَل ضد النَّهَل .

(٥) الجفال من الشعر : المجتمع الكثير يقول : تُجَزُّ مَرَّة وذلك أن الضائنة إذا جزت لم يسقط من صوفها شىء إلى الأرض حتى يؤتى عليه .

(٦) أذكار جمع ذكر لمن يهب الإبل .

(٧) إرقاء مصدر تريد حقن دماء القتلى بإعطائهـــا فى الديات وفى الحديث : « لا تسبوا الإبل فان فيها رَقُوء الدم ومَهْرَ الكريمة » .

(٨) البيت لابراهيم بن هرمة كما فى اللسان فالظاهر هو أن راوى هذا الحديث هو الذى تمثل بهذا البيت لابنة الخس لأن ابن هرمة متأخر عن ابنة الخس مئات من السنين والمرهق : الذى يغشاه السُّؤَّال والضيفان والتلاع جمع تلعة : مسيل الماء أو أرض مرتفعة يَتَرَدَّدُ فيها السيل ثم يدفع منها إلى تلعة أسفل منها ، وأكلؤها : أكثرها عُشْباً .

(٩) النطيط : الذى لا لحية له والنطيط : الهِذْرِيَان وهو الكثير الكلام الذى يأتى بالخطأ والصواب من غير معرفة .

الذى معه سُوَيْط ، الذي يقول : أدركونى من عبد بنى فلان فإنى قاتله أو هو قاتلى ، قال : فأىُّ النساء خير ؟ قالت : التى فى بطنها غلام ، على وَرِكِها غلام ، يمشى وراءها غلام ، قال : فأى الجمال خير ؟ قالت : السِّبَحْل الرِّبَحْلُ ،[1] الراحلة الفحل ، قال : أرأيتك الجَذَعَ ؟ قالت : لا يضربُ ولا يَدَع ، قال : أرأيتك الثَّنِىَّ ؟ قالت : يضرِبُ وضِرَابُه أَنِىٌّ ،[2] قال أرأيتك السَّدِيس ، قالت : ذاكَ القَبِيس[3] .

خاتمة الزُّناة :

قال الفرزدق :

وإنِّى لأخشى إن خَطَبْتَ إليهمُ عليكَ ، الذى لافَى يَسَارُ الكَوَاعِبِ

وهذا يسارُ الكواعب كان عبداً ابنى غُدَانَة ، فراوَدَ مولاتَه عن نفسها ، فنهتْه مرةً بعد مرة ، وألحّ ، فوعدَتْهُ ، فجاء ، فقالت له : إنى أريدُ أن أُبَخِّرَكَ فإن رائحتَك متغيِّرة ، فوضعت تحته مِجْمَرَة ، وقد أعدَّت له حديدَة حادَّة ، فأدخلت يَدَها فقبضت على متاعِـــه ، وهو يَرى أن ذلك لشىء ، فقطعتْه بالموسَى ، فقالا (صبْراً على مجامِرِ الكِرام) فذهبَت مثلا ، وصارَ هُوَ مثلا .

* * *

وكان أبْرَوِيز قد اختبر رجلا ، فرآه زانياً خائناً ، فوسَمَه بسِمَة الزُّناة ونفاهُ مِنَ المدائن ، فأخذ مُوسى وجَبَّ نفسَه وقال : مَنْ أطاعَ عُضْواً صغيراً

---

(١) السِّبَحْل الرَّبَحْل : البجيل الكثير اللحم .

(٢) أنِىّ : بطىء .

(٣) القبيس : الفحل السريع الإلقاح وفى المثل « لِقوة لاقت قبيساً » .

فسدت سائرُ أعضائه ، ومات مِنْ ساعته .

وبعد فإنى أظنُّنى فى غير حاجة إلى تنبيه الناظرِ فى كتابنا هذا إلى تلك الأدوار الخبيثة التى تصيب الزُّناة فى هذه الأيام ، وإلى المآسى المؤسفة التى تنتهى بها فى الأعم الأغلب حال الزناة من قتل ، وعارٍ وشنارٍ وفقر ، ووالله يميناً لاحانثاً فيها ولا آثماً لقد أدركت كثيراً من سَرَواتنا الذين كانوا مِن أغنيائنا الذين يُشار إليهم ، وبعد عشية وضحاها أضاعوا ضياعهم ، وذهب الله بذهبهم ، وكان سر هذه المَتْرَبَة هو الزنا وحده ، نعوذ بالله من زوات نفوسنا .